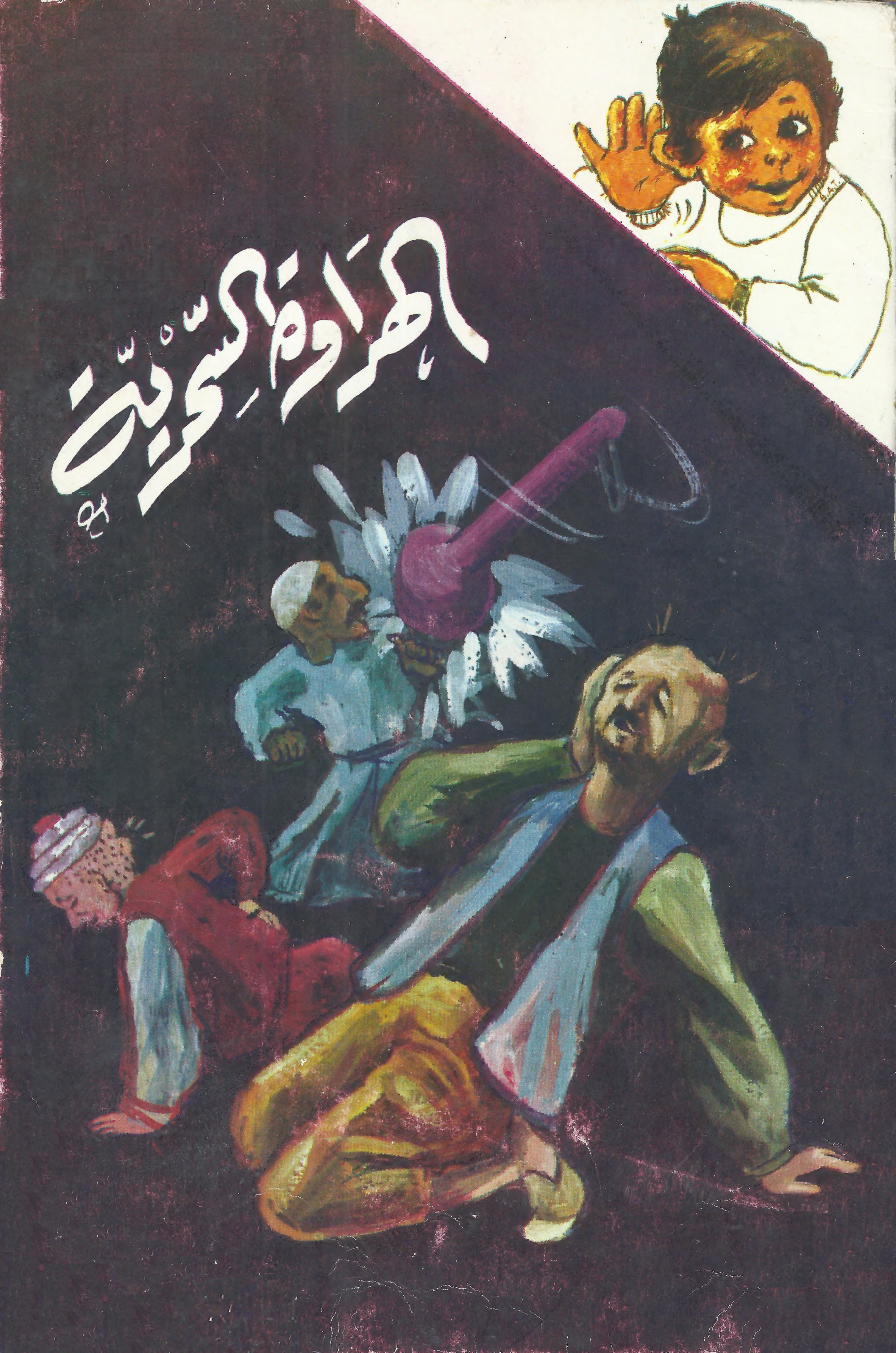

الهراوة السحرية

الهراوة السحرية

تأليف

عبد السلام ياسين   محمد شفيق   عبد الكريم حليم

نشر: دار الثقافة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر

فِي مَدِينَةِ طُلَيْطِلَةَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، عَاشَ رَجُلٌ اسْمُهُ النَّبِيقِيُّ . وَكَانَ عَدَدُ أَطْفَالِهِ قَرِيباً مِنْ عَدَدِ حَبَّاتِ الرُّمَّانَةِ وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ صَخَّابَةٌ تَصِيحُ فِي وَجْهِهِ طُولَ النَّهَارِ ، لَكِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَذَاهَا وَيَصْبِرُ .

كَانَ إِسْكَافاً اشْتَهَرَ بَيْنَ أَصْحَابِ حِرْفَتِهِ بِالطَّرِيقَةِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُ بِهَا أَيَّامَ الْأُسْبُوعِ .

كَانَ يَسْتَثْقِلُ الْعَمَلَ يَوْمَ السَّبْتِ بَعْدَ أَنْ أَلِفَ رَاحَةَ الْجُمُعَةِ الْأُسْبُوعِيَّةَ ، وَيَتَعَطَّلُ عَنِ الْعَمَلِ يَوْمَ الْأَحَدِ لِيَفْرَحَ بِعِيدِ مِيلَادِ أَحَدِ أَبْنَائِهِ ، وَيَتَعَطَّلُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ بِسَبَبِ هُطُولِ الْمَطَرِ . وَتَحْبِسُهُ الصَّاعِقَةُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ عَنِ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ ، وَيَرْتَاحُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ مِنْ تَعَبِ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ .

وَيُخَصِّصُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِمُرَاجَعَةِ حِسَابِ الْأَرْبَاحِ الْأُسْبُوعِيَّةِ .

وكانَ يَعِيشُ في فَرَحٍ دائِمٍ ، لا يُفَكِّرُ في ٱلْغَدِ ، ولا يَحْمِلُ هَمًّا . لا يُكَدِّرُ عَيْشَهُ إِلَّا خِصامُ الزَّوْجَةِ ، ولا يَكْرَهُ شَيْئاً كُرْهَهُ لِلْعَمَلِ .

وذاتَ يَوْمٍ نَفِدَ ما كانَ عِنْدَهُ مِنْ دُرَيْهِماتٍ ، فَرَجَعَ إِلى ٱلْبَيْتِ ولَيْسَ مَعَهُ زادٌ لِلْأَوْلادِ ، فتلقَّتْهُ زَوْجَتُهُ صارِخَةً صاخِبَةً كَعادَتِها ، وعَيَّرَتْهُ بِالْكَسَلِ ، وتَضاغَى حَوْلَهُ الصِّبْيَةُ وقَدْ مَسَّهُمُ الْجُوعُ . فَخَرَجَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ، ولَقِيَ أَحَدَ جيرانِهِ فَشَكا لَهُ الْحالَ ، فَقالَ الْجارُ :

— إِنَّ لَكَ مِهْنَةً فَٱشْتَغِلْ قَلِيلاً تَسْتَقِمْ أَحْوالُكَ .

فَأَجابَ النَّبِيقِيُّ غاضِباً :

— لَأَنْ أَمُوتَ خَيْرٌ مِمّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ .

وهٰكَذا عَزَمَ عَلى الإِنْتِحارِ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ مَعارِكِ ٱلْبَيْتِ ، ومِنْ عَناءِ كَسْبِ رِزْقِ أَوْلادِهِ .

وحَمَلَ حَبْلاً مَتِيناً ، وخَرَجَ يَبْحَثُ عَنْ شَجَرَةٍ يَشْنُقُ فِيها نَفْسَهُ ، وٱخْتارَ شَجَرَةَ زَيْتونٍ ٱمْتَدَّ لَها غُصْنٌ قَلِيلُ الإِرْتِفاعِ ، يَظْهَرُ أَنَّهُ يَصْلُحُ لِأَداءِ الْمُهِمَّةِ . ولَمّا رَبَطَ الْحَبْلَ إِلى الشَّجَرَةِ ،



واختار شجرة زيتون ليشنق نفسه فيهـا . . .

ووضعَ أُنْشُوطَتَهُ حولَ عُنُقِهِ ، ناداهُ صَوْتٌ مِنْ أعْلى الشّجرَةِ قائِلاً :

ـــ ماذا أَنْتَ صانِعٌ بِنفْسِكَ ؟

ورَفعَ النَّبيقِيُّ إلَى الشّجَرَةِ عَيْنَيْهِ وقَدِ انْفَتَحتا مِنَ الدّهْشَةِ ، فلَمحَ مِنْ بَيْنِ الْأَغْصانِ شَخْصاً قَصيراً جِدًّا ، لِباسُهُ أَحْمَرُ ، على رأْسِهِ عِمامَةٌ ذَهَبِيَّةٌ ، وفي يَدِهِ قَضيبٌ مِنْ فِضَّةٍ . فَأَجابَ والْخَوْفُ يَعْقِدُ لِسانَهُ :

ـــ ها أَنْتَ تَرى يا سَيِّدي الْعِفْريتَ ، سَأُعَلِّقُ نَفْسِي في هٰذِهِ الشَّجَرَةِ كَما يُعَلَّقُ الْبَصَلُ في السَّقْفِ .

ـــ ولِمَ ذٰلِكَ ؟

ـــ لِأَسْتَريحَ مِنْ صِياحِ الصِّبْيَةِ الْجائِعِينَ ، ومِنْ صُراخِ الزَّوْجَةِ الْغاضِبَةِ . آهٍ لَوْ تَعْلَمُ يا سَيِّدي !

ـــ إِنَّني أَفْهَمُ ، وها أَنا سَأَمُدُّ إِلَيْكَ يَدَ المَعُونَةِ ، هاكَ هٰذا الْكيسَ ، إِنَّهُ يُغْنيكَ . أَنْفِقْ مِمّا فيهِ ، وسَتَرى أَنَّهُ سَيَبْقَى مَلْآنَ أَبَداً ، لا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ . هَيّا ! أَلْقِ عَنْكَ هٰذا الْحَبْلَ ، وارْجِعْ لِتَتَغَدّى مَعَ أَوْلادِكَ .

شَكَرَ النَّبيقِيُّ الْعِفْريتَ ، الْقَزَمَ ، ووَلّى وهُوَ يَكادُ يَطيرُ

فَرِحاً . ومرَّ أمامَ أحدِ المطاعِمِ فتذكَّرَ أنَّهُ جائعٌ ، فدخل ونادى مُصفِّقاً بيدَيْهِ :

ــ يا هؤُلاءِ ! هاتُوا لي أحْسَنَ ما في مَطْبَخِكُمْ ، هاتوا الشِّواءَ والفِراخَ المحمَّرَةَ . هاتُوا خُبزَ السَّميدِ وحَلوى الفالُوذَجِ .

ــ وتردَّدَ صاحِبُ المَطْعَمِ في تلْبيةِ رغْبةِ زبُونِهِ لِما رأى مِنْ رثاثةِ ثِيابِهِ . فضحِكَ النَّبيقِيُّ وقالَ :

ــ خُذْ ! هٰذهِ قِطْعَةٌ مُرابِطِيَّةٌ لِتُسْرِعَ خُطاكَ ، وهٰذهِ أُخرى لِتفْهَمَ كَلامي ، وهٰذهِ ثالِثَةٌ ثمناً لِطَعامِكَ .

فأسْرَعَ صاحِبُ المَطْعَمِ يُهيِّئُ الطَّعامَ ، وهُوَ يسْتغْرِبُ أنْ يَمْلِكَ رجُلٌ رثُّ الثِّيابِ كِيساً مملوءاً ذهباً .

وأكلَ صاحِبُنا بِشَرَهٍ حتَّى اكتظَّ ، وأحسَّ باسْترْخاءٍ فنعِسَ .

وعِنْدَ ذاكَ دعا صاحِبُ المَطْعَمِ خادِمَهُ وقالَ :

ــ تعالَ نأْخُذْ كِيسَهُ ونَضَعْ في جَيْبِهِ كِيساً شَبيهاً بِهِ نَمْلأُهُ بِالحصى .

ولَمْ يكادا يُنجزانِ خِطَّتَهُما حتَّى هبَّ النَّبيقِيُّ مِنْ نُعاسِهِ . وجسَّ جيْبَهُ لِيتأكَّدَ أنَّ الكيسَ لا زالَ فيهِ . ولمّا اطْمأنَّ ، توَجَّهَ إلى بيْتِهِ وهُوَ يُغنِّي بِصَوْتٍ عالٍ . وسَمِعَتِ الزَّوْجَةُ الغِناءَ ،



وأكل . وأحس باسترخاء فنام .. وحمل إلى زوجته كيساً آخر ..



وأعطاه طبقاً مسحوراً فأبدله صاحب المطعم .. فذهب إلى زوجته بطبق آخر ..

فَعرَفَتْ زَوْجَها ، وخَرَجَتْ تَنْظُرُ ما الْخَبَرُ ، فَخاطَبَتْهُ قائِلَةً :

ـ مِنْ أَيْنَ يا كَسُولُ ! يا لَعِينُ ! أَتَجْسُرُ عَلى الرُّجُوع إلَيَّ ؟ إنْتَظِرْ ما سأَفعَلُ بِكَ !

ـ إهْدَئي يا زَوْجَتي الْعَزيزَةَ ! لَقَدْ جِئْتُكِ بِما سَيُفْرِحُك ويَجْعَلْكِ تُغَنِّينَ مِثْلي . أُنظُري هٰذا الكِيسَ ، إنَّهُ يُشْبِهُ الأَكْياسَ الأُخْرى ، لٰكِنَّهُ كَنْزٌ لا يَنْفَدُ أَبداً ، هَيَّا يا أَطْفالُ ؟ إصْطَفُّوا هُنا ، وسَأُعْطي كُلَّ واحِدٍ قِطْعَةً ذَهَبِيَّةً . وفَتَحَ الْكِيسَ فَلَمْ تُصِبْ يَدُهُ إلَّا حَصاةً . وصَبَّ الْكِيسَ في يَدِهِ فَلَمْ يَجِدْ إلَّا الْحَصَى ، فَقالَتِ الزَّوْجَةُ :

ـ أَتَسْخَرُ مِنَّا !

فَأَجابَ النَّبيقِيُّ والدَّمْعُ يَخْنُقُهُ :

ـ أَحْلِفُ لَكِ يا عَزيزَتي أَنَّ الْكِيسَ كانَ مَمْلُوءاً ذَهَباً . وقَدْ أَعْطَيْتُ مِنْهُ لِصاحِبِ المَطْعَمِ ثَلاثَ قِطَعٍ .

ـ ماذا أَيُّها اللِّصُّ ! تُنْفِقُ ثَلاثَ قِطَعٍ مُرابِطِيّاتٍ ونَحْنُ في الْبَيْتِ لا نَجِدُ حَتَّى زَيْتُونَةً نَمُصُّها ؟

وَصَفَعَتْهُ على وجْهِهِ ولَعَنَتْهُ ، فَخَرَجَ كَئيباً ، وذَهَبَ يَبْحَثُ عَنْ حَبْلٍ ثانٍ لِيَشْنُقَ بِهِ نَفْسَهُ .

وبَيْنَما كانَ يَتَهيَّأُ لِيَضَعَ الأُنْشُوطَةَ حولَ عُنُقِهِ ، ناداهُ صَوْتٌ مِنْ أعلى الشّجَرَةِ قائِلاً :

ـــ ماذا أنتَ صانِعٌ بِنفسِكَ ؟

ـــ سَأَشْنُقُ نفسِي ، لِأَنَّكَ خدَعْتَني ؛ لَمْ يَكُنِ ٱلكِيسُ على ما وَصَفْتَ ، بَلْ سَرْعانَ ما نَفِدَتِ النُّقُودُ التّي فِيهِ .

ـــ يا لَكَ مِنْ أَحْمَقَ ! لٰكِنِّي أَرْثي لِحالِكَ . خُذْ ! هٰذا طَبَقٌ سِحْرِيٌّ ، يَمْتَلِئُ بِما شِئْتَ مِنَ الطَّعامِ كُلَّما طَلَبْتَ إِلَيْهِ ذٰلِكَ . وَٱحْذَرْ هٰذِهِ المَرَّةَ مِنَ اللُّصُوصِ .

شَكَرَ النَّبِيقِيُّ ٱلقَزَمَ على إِحْسانِهِ وَٱنْصَرَفَ . وفي الطَّرِيقِ ، بَدا لَهُ أَنْ يُجَرِّبَ الطَّبَقَ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ إِلَى زَوْجِهِ . فَتَنَحَّى عَنِ الطَّرِيقِ ، وجَلَسَ والطَّبَقُ أَمامَهُ وقالَ :

ـــ يا طَبَقُ ، هاتِ لي مِنْ أَحْسَنِ الطَّعامِ !

وفي الحِينِ ٱمْتَلأَ الطَّبَقُ بِأَلْوانِ الطَّعامِ ٱلفاخِرَةِ كَأَنَّما جِيءَ بِها مِنْ مَطابِخِ ٱلمَلِكِ .

فَعَجِبَ النَّبِيقِيُّ ، وأَقْبَلَ يَلْتَهِمُ الطَّعامَ ٱلْتِهاماً . وفَضَلَتْ دَجاجَةٌ بِمَرَقِها فَحَمَلَها مَعَهُ وأَخَذَ طَبَقَهُ وَٱنْصَرَفَ إِلَى المَدِينَةِ . وبَيْنَما

كانَ مارًّا أمامَ المطْعَمِ المعْلُومِ ، اَسْترْخى جِسْمُهُ وغالَبهُ النُّعاسُ ، فدَخلَ وقالَ لِصاحِبِ المطْعَمِ :

— خذْ هٰذِهِ الدَّجاجَةَ ، واَسْمَحْ لي مُقابِلَها أَنْ أَسْترِيحَ في إِحدَى حُجُراتِكَ .

خفَّ الرَّجلُ لِقَبولِ طَلَبِهِ لِأَنَّهُ عَرفَهُ ، ورَجا أَنْ يأْخُذَ مِنْهُ مَرَّةً أُخرَى كَنْزاً أَوْ تُحْفَةً .

ولمّا نامَ النَّبيقيُّ بَعثَ الْخادِمَ لِيَشْتريَ لهُ طَبقاً مِثْلَ الطّبَقِ المَسْحُورِ . ولمّا جاءَ بِهِ ، أَبْدَلَهُ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ النّائِمُ .

وبَعْدَ ساعتَيْنِ ، اسْتَيْقظَ النَّبيقِيُّ وتَمطَّى ، ثُمَّ حَملَ طَبقَهُ واَنْصرَفَ .

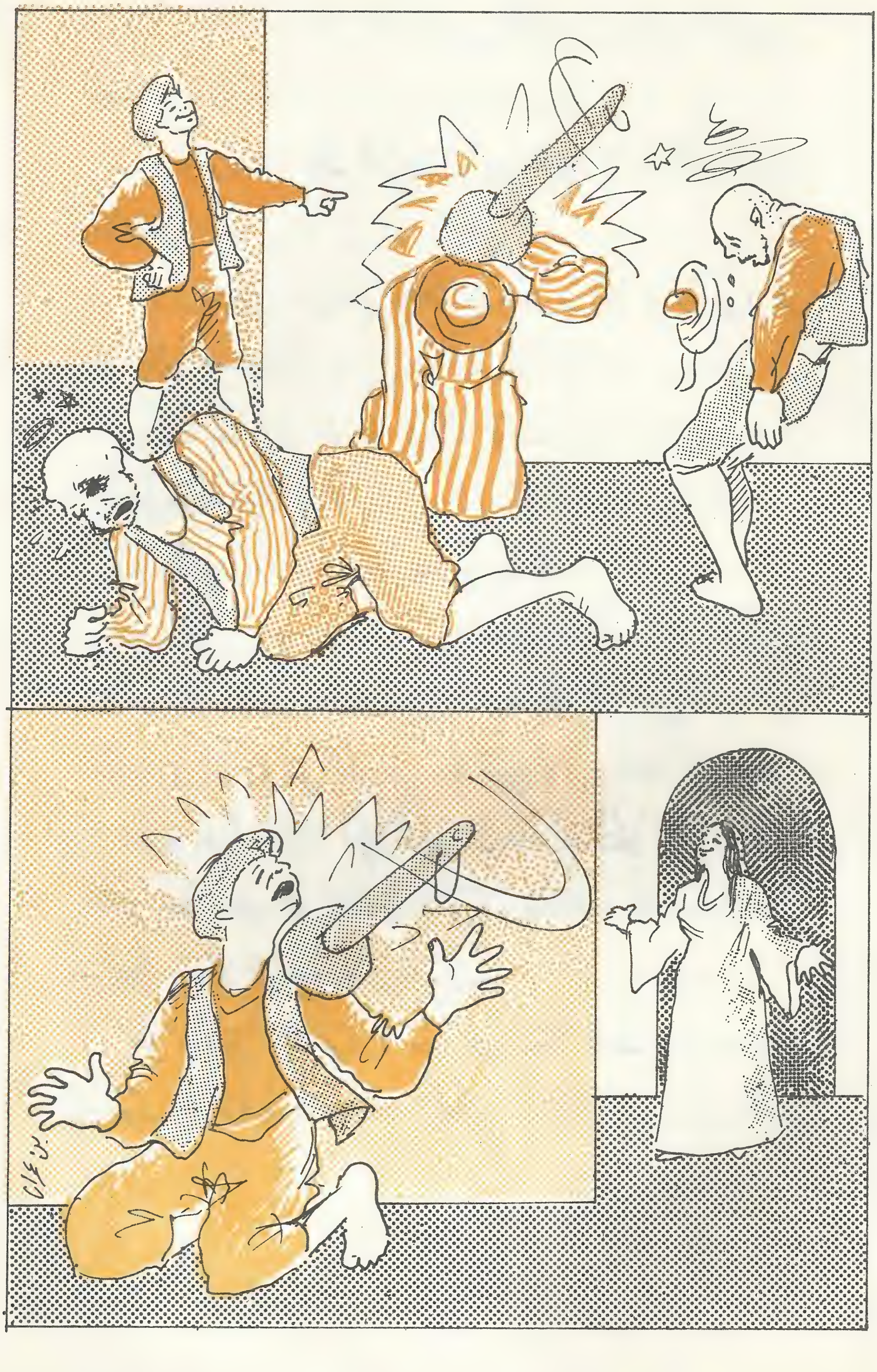
ولمّا دَخلَ على زَوْجِهِ وبَنِيهِ قالَ :

— أَبْشِرُوا ، فَستأْكُلونَ اَلْيَوْمَ طَعاماً كَطَعامِ هارُونَ الرَّشيدِ . هٰذا الطَّبَقُ سَيُحْضِرُ لَكُمْ زَرْدَةً في كُلِّ يَوْمٍ ، بَلْ كُلَّما رَغِبْتُمْ في الطّعامِ .

ووَضعَ أَمامَهُ الطَّبقَ ، وأَجْلسَ أَعْضاءَ أُسْرَتِهِ حوْلَهُ وقالَ :

— هاتِ يا طَبقُ ما يَكْفِينا جَميعاً !

لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ ، فَأَعادَ أَمْرَهُ ، فلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ ، فَصاحَ



فِي الطَّبَقِ وقَلَّبَهُ ، لَكِنَّ الطَّبَقَ بَقِيَ أَصَمَّ لا يَسْمَعُ ولاَ يُطِيعُ .
فَصاحَتِ الزَّوْجَةُ :

ــ يَا وَيْلَنا ! لَقَدْ أَصْبَحَ زَوْجِي مَجْنوناً ! وطَرَدَتْهُ صاخِبَةً صائِحَةً .

جُنَّ النَّبِيقِيُّ ، وحَمَلَ حَبْلَهُ ، وعَزَمَ أَلَّا يَثْنِيَهُ شَيْءٌ عَنِ الإِنْتِحارِ هٰذِهِ المَرَّةَ .

وكانَ القَزَمُ فِي المَوْعِدِ ، فَلَمَّا هَمَّ النَّبِيقِيُّ بِإِدْخالِ رَأْسِهِ فِي الأُنْشُوطَةِ خاطَبَهُ قائِلاً :

ــ احْبِسْ ! ماذا أَنْتَ صانِعٌ بِنَفْسِكَ ؟

ــ لَنْ تُرْجِعَنِي عَنِ الإِنْتِحارِ هٰذِهِ المَرَّةَ ! ولَنْ أَنْخَدِعَ لَكَ . إِنَّ كِيسَكَ وطَبَقَكَ لَمْ يَكُونا إِلَّا كِذْبَتَيْنِ ، وكُنْتَ السَّبَبَ فِي أَنَّ زَوْجِي ضَرَبَتْنِي وطَرَدَتْنِي .

ــ يا غَبِيُّ ! لَوْلا أَنَّنِي أُشْفِقُ عَلَيْكَ لَتَرَكْتُكَ وَشأْنَكَ ، لَكِنْ خُذْ هٰذِهِ الهِراوَةَ فَإِنَّها تُؤَدِّبُ وتُعاقِبُ كُلَّ جَرِيمَةٍ ورَذِيلَةٍ . ولا تَرْجِعْ فَلَنْ تَجِدَنِي .

حَمَلَ النَّبِيقِيُّ الهِراوَةَ ، بَعْدَ أَنْ شَكَرَ العِفْرِيتَ ، ومَضَى لِيُجَرِّبَ هِراوَتَهُ فِي صاحِبِ المَطْعَمِ ، فَإِذا كانَ هُوَ الَّذِي

سَرَقَ مِنْهُ الكِيسَ والطَّبَقَ ، فإِنَّ الهِرَاوَةَ سَتُعاقِبُهُ .

دَخَلَ المَطْعَمَ فَقُوبِلَ بِجَفاوَةٍ ، وسَأَلَ صاحِبَهُ :

ــ أَلَمْ تَعْثُرْ على كِيسٍ وطَبَقٍ أَضَعْتُهُما عِنْدَكَ ؟

ــ حاشَا لِلّهِ يا مَوْلَايَ ! لَوْ عَثَرْتُ عَلَيْهِما لَأَعَدْتُهُما إِلَيْكَ !

ــ أَحَقًّا ما تَقُولُ ؟ هَيَّا اِعْمَلِي واجِبَكِ يا هِرَاوَةُ !

وطَفِقَتِ الهِرَاوَةُ تَضْرِبُ المُجْرِمَ على رَأْسِهِ ، ولَمَّا هَرَعَ الخَادِمُ لِيَرَى مـــا حَدَثَ تَناوَلَتْهُ الهِرَاوَةُ كَما تَناوَلَتْ سَيِّدَهُ .

ولَمْ تَزَلِ الهِرَاوَةُ تُؤَدِّبُ السَّارِقَيْنِ حَتَّى أَمَرَها النُّبَيْقِيُّ قائِلاً :

ــ في هٰذا كِفَايَةٌ . تَعَالَيْ مَعِي فَهُنَاكَ مَنْ يَحْتاجُ إِلى مُؤَدِّبٍ .

وتَوَجَّهَ إِلى بَيْتِهِ وفي نِيَّتِهِ أَنْ يُؤَدِّبَ زَوْجَتَهُ لِكَثْرَةِ صَخَبِها .

ودَخَلَ البَيْتَ فَأَقْبَلَتْ أُمُّ بَنِيهِ غاضِبَةً تَسْأَلُهُ هَلْ جـــاءَ بِطَعامٍ لِلْأَطْفالِ . فَأَجابَها :

ــ بَلْ جِئْتُكِ بِأَحْسَنَ مِنْ ذٰلِكَ . هَيَّا يا هِرَاوَةُ ! هٰذِهِ امْرَأَةٌ صَخَّابَةٌ ، فَاعْمَلِي واجِبَكِ ، لٰكِنِ اضْرِبِي بِرِفْقٍ .

وعَمِلَتِ الهِرَاوَةُ واجِبَها بِرِفْقٍ كَما أُمِرَتْ .

فَفَهِمَتِ المَرْأَةُ السِّرَّ وصاحَتْ :

ــ يا هِرَاوَةُ ! هٰذا رَجُلٌ كَسُولٌ ، لا يَكْسِبُ رِزْقِي

وَرِزْقَ أَوْلَادِي . اعْمَلِي وَاجِبَكِ ، وَٱضْرِبِي ضَرْباً شَدِيداً ، لٰكِنْ لَا تَقْتُلِيهِ . إِضْرِبِي الْيَدَيْنِ اللَّتَيْنِ لَا تَعْمَلَانِ ، وَاضْرِبِي الرِّجْلَيْنِ اللَّتَيْنِ لَا تَسْعَيَانِ لِلْعَمَلِ ، وَاضْرِبِي الرَّأْسَ الَّذِي لَا يُفَكِّرُ فِي الْكَسْبِ .

وَعَمِلَتِ الْهِرَاوَةُ وَاجِبَهَا كَمَا أُمِرَتْ ، وَتَبِعَتِ الْكَسُولَ تَضْرِبُهُ ، فَلَمْ تُمْسِكْ عَنْهُ إِلَّا عِنْدَمَا بَلَغَ دُكَّانَهُ وَتَنَاوَلَ أَدَوَاتِهِ وَأَخَذَ يَشْتَغِلُ .

وَمِنْ ذٰلِكَ الْحِينِ ذَهَبَتْ عَادَةُ الصَّخَبِ عَنِ الزَّوْجَةِ ، وَعَادَةُ الْكَسَلِ عَنِ الزَّوْجِ بِفَضْلِ الْهِرَاوَةِ الَّتِي بَقِيَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى الْجِدَارِ يُهَدِّدُ بِهَا الْأَطْفَالَ إِذَا أَسَاءُوا .

تمت

مطبعة الدار التونسية للنشر

قصص الأطفال

- الفلاح وملك النحل
- الهراوة السحرية
- القط العنيد

نشر : دار الثقافة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر